الفصل الثالث

المسكوت عنه في الإعلام المصري

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

1 هل الإعلام العربي لا يزال عاجزاً ؟!

لن نذكر أن الإعلام العربى قد تجاوز بعض قصوراته التى فرضتها ظروف نشأته منذ الحقبة العثمانية مروراً بالضغوط وأساليب القهر المتنوعة التى فرضتها المرحلة الاستعمارية على حرية التعبير وصولاً إلى مرحلة الاستقلال حيث لم تستطع الصحافة العربية أن تتجاوز صوت حكوماتها وإن ظلت تناضل بشتى الطرق للتحايل على القيود الخفية والمرئية التى فرضتها ضرورات أمن الحكومات والبلاد ولكن الثورة التكنولوجية فى الاتصال والمعلومات فرضت ضروراتها وشروطها ومنحت للصحافة العربية هامشاً من الحرية والتطور قابلاً للاتساع ومع كل ذلك فإن الخطاب الإعلامى العربى لايزال غير قادر على استيعاب خبرات الماضى والتكيف مع ضرورات الحاضر وتحدياته ولعل أبرز مثال الخطاب الإعلامى العربى تجاه القضية الفلسطينية إذ لم يزل يغلب عليه الطابع الدعائى البلاغى المفتقر للفاعلية والتأثير خصوصاً وأنه يركز على الرأى العام العالمى الذى يحتاج إلى جهد جماعى قومى لدراسة احتياجات وطبائع ومصالح الشرائح المختلفة من القوى العالمية التى لا تعترف بحقوق الشعب الفلسطينى وتتواطأ سراً وعلناً مع مزاعم الإسرائيليين الذين أجادوا استثمار الهولوكوست وجندوا وسائل الإعلام الغربى لمساندة الباطل الإسرائيلى ضد الحق الفلسطينى وإننى أتساءل لماذا لم يستثمر الإعلام العربى حتى اليوم عشرات المجازر الإسرائيلية ضد الفلسطينيين بدءاً بدير ياسين وكفر قاسم وقبيه ومروراً بصابرا وشاتيلا ومذبحة المسجد الأقصى وانتفاضة

الثمانينيات وأساليب التطهير العرقى الذى لا يزال يمارسه الإسرائيليون بكل ضراوة ووحشية ضد النساء والشيوخ والأطفال والشباب والفسلطينى؟ لماذا لا تترجم هذه الأحداث المأساوية إلى صور إعلامية ناطقة تبثها الفضائيات العربية بجميع لغات العالم وتتوجه بها إلى الرأى العام العالمى وعلى الأخص كهنة الديمقراطية الغربية كى نستثير ما تبقى فى ضمائرهم من حس إنسانى وإدراك لقيمة العدل وحق جميع شعوب الأرض فى التمتع بسيادتها الوطنية على أراضيها ومقدساتها.

وهل يمكن أن يتحقق أى نصر مرحلى أو استراتيجى اعتماداً على بسالة الأطفال الفلسطينيين الذين قدر لهم أن يفتدوا العالم العربى كله بشجاعتهم الأسطورية.. وهل الرأى العام العربى فى حاجة إلى المزيد من المعلومات عن حرب الإبادة الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى لقد أصبنا بتخمة إعلامية قد تؤدى مع العجز العربى الشامل إلى التبلد وهل يمكن أن نحصل على تأييد ومساندة العالم الخارجى بالخطاب السياسى ذى الطابع العمومى الذى لا يزال الإعلام العربى يقف على أعتابه؟ لقد استثمر الجزائريون كافة المذابح الفرنسية ضد الشعب الجزائرى وظلوا يطرحونها على الرأى العام العالمى طوال سبع سنوات ولم يكتفوا بعدالة قضيتهم واستمرار الكفاح المسلح وكذلك فعل حزب المؤتمر الأفريقى بجنوب أفريقيا وكانت الجبهة العالمية والغربية على وجه التحديد أهم جبهات النضال الأفريقى لإبراز بشاعات النظام العنصرى حتى أن مانديلا عندما زار هذه الدول بعد خروجه من السجن استقبل استقبال الأبطال فى العواصم الأوروبية ولم يكن قد حصل بعد على استقلال بلاده بل كل النظام العنصرى لا يزال يمارس أشرس معاركه ضد شعب جنوب أفريقيا. لقد جعل شعب جنوب أفريقيا ذكرى مذبحة

شاريفيل التى ذهب ضحيتها عشرات الأفارقة على أيدى البيض عام ١٩٦٠ يوماً وطنياً يحتفلون به حتى اليوم كى لا تنسى الأجيال الجديدة التضحيات الغالية التى قدمها الآباء من أجل القضاء على النظام العنصرى لماذا لا ننتقى إحدى المجازر الإسرائيلية ضد الفلسطينيين مثل دير ياسين أو صابرا وشاتيلا ونجعلها حدثاً قومياً نحتفل به سنوياً ونبثه فى كافة وسائل الإعلام المحلية والعالمية ونحاول من خلاله أن نوقظ ضمائر المتواطئين فى الغرب ونؤكد لهم أن حل المشكلة اليهودية لا يمكن أن يتحقق على حساب الشعب الفلسطينى علاوة على تنشيط الذاكرة القومية لدى الأجيال الجديدة فى العالم العربى.. لا شك أن الإعلام هو الضلع الثالث لقضايا التحرر الوطنى العادلة ولا يقل أهمية عن الضلعين الآخرين وأعنى بهما الضلع النضالى المسلح والضلع الدبلوماسى.. هذه هى الخبرة الأساسية التى تعلمناها من الثورات الوطنية فى الجزائر وجنوب أفريقيا وفيتنام.. وهذا هو التحدى الحقيقى الذى يواجه الإعلام العربى الرسمى والشعبى فهل نعى؟ ومتى نتحرك؟.

صوت الجامعة – ١٧ أكتوبر ٢٠٠١

2 صحيفة المقطم وقناة الجزيرة

فى عام ١٨٨٩ كلف الاحتلال البريطانى فى مصر الثلاثى الصحفى الشامى فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس بإصدار صحيفة المقطم للدفاع عن المصالح البريطانية ولمناوءة الأهرام التى كانت موالية للنفوذ الفرنسى فى مصر آنذاك وقامت المقطم بدورها على أكمل وجه مستفيدة من تراث الدهاء البريطانى فى بث الفرقة وإحداث البلبلة لدى الرأى العام المصرى من خلال فتح صفحاتها للرأى والرأى الآخر.. هذا الشعار الذى أرسته المدرسة البريطانية فى الإعلام الموجه لشعوب المستعمرات مستندة إلى كونه يمثل حجر الزاوية فى حرية التعبير وحرية الصحافة وهذا الشعار صحيح فى جوهره ولكن الأحداث أثبتت أنه سلاح ذو حدين فهو يقوم على فلسفة تنظر للحقيقة على أنها أمر نسبى وليس مطلقاً ذلك أن تعاظم الاهتمام بمفهوم الرأى واعتباره المرجعية الأخيرة للقارئ ينتج عنه بالضرورة اغتيال مفهوم الحقيقة أو التغطية عليه خصوصاً إذا كان الكاتب متمكناً وقادراً على التلاعب بالألفاظ والمعانى وكانْ القارئ كما هى العادة يفتقر إلى المقدرة العلمية التى تمكنه من تحليل الآراء وتفنيدها وتكون النتيجة هى انحياز القارئ إلى الكاتب الأكثر مهارة فى الاقناع أو على الأقل يخرج القارئ بانطباع أن كلا طرفى النزاع على شيء من الحق وشيء من الباطل وحينئذ يصاب بالبلبة ويفقد الرؤية الصحيحة لحقيقة الصراع بين الشعب المصرى وأهداف الاحتلال البريطانى.

هذا هو ما يحدث الآن بالضبط ولكن باستخدام تكنولوجيا إعلامية جديدة هى

الفضائيات وقد حل الصراع العربى الصهيونى والإرهاب الدولى محل الاحتلال البريطانى وتقوم قناة الجزيرة بدور صحيفة المقطم مستلهمة شعار الرأى والرأى الآخر من المدرسة التى نشأت فى رحابها وهى مدرسة الإذاعة البريطانية والذى يريدون أن يقولوا لنا من خلاله أن وظيفة الفضائيات هى مجرد إتاحة الفرصة لجميع الآراء كى تجد طريقها إلى آذان وعيون المشاهدين.

وهناك مثلان محددان يؤكدان صحة ما أقوله أولهما يتمثل فى تركيز قناة الجزيرة بشكل مبالغ فيه على حصار مقر قيادة السلطة الفلسطينية وتعمقها فى تفاصيله بدرجة مثيرة للتعجب وذلك رغم أن الجميع كان يعلم أن نية المعتدين الصهاينة لم تكن تستهدف تصفية قيادة السلطة الفلسطينية بل كانوا يتعمدون إذلالها وإشغال الرأى العام العالمى بها وبمصيرها عن المجازر وعمليات الإبادة الجماعية المنظمة ضد الشعب الفلسطينى، كذلك يلاحظ تركيز الجزيرة بشكل مبالغ فيه أيضاً على تصوير العدوان وكأنه نتيجة نزاعات شارون الشخصية الدموية الأمر الذى حال بين المشاهد وبين فهم العدوان فى ضوء سياقه التاريخى الصحيح وهو أنه جزء من مخطط ترميم اتفاق أوسلو وفى نفس الوقت جزء من حرب العولمة التى تقودها الولايات المتحدة ضد المقاومة فى جميع أنحاء العالم، كما حال هذا الوضع بين المشاهد وبين فهم موقع هذه المجازر كحلقة فى سلسلة المجازر التى ارتكبتها مختلف القيادات الصيهونية ضد الشعب الفلسطينى قبل وبعد قيام الكيان الصهيونى.

أما المثل الثانى فهو يتمثل فى الدور الذى تقوم به قناة الجزيرة فى خدمة المخطط الأمريكى لإلهاء الرأى العام بشرائط بن لادن الوهمية والمفبركة والذى تطالعنا به هذه القناة بين الحين والآخر لتعزيز الادعاء الأمريكى فى إلصاق تهمة أحداث ١١ سبتمبر بمجموعة بن لادن وأعوانه دون تقديم أدلة حقيقية موثقة فى الوقت الذى

تتأهب فيه الولايات المتحدة الأمريكية لتنفيذ مخططاتها التوسعية بالسيطرة على منابع النفط فى العراق وبحر قزوين وإحكام قبضتها على المواقع الاستراتيجية التى تمكنها من محاصرة الصين وإيران وجنوب روسيا وفرض هيمنتها الكاملة على العالم العربى وتصفية القضية الفلسطينية.

لقد وقعت الجزيرة فى الفخ وأضحت تقوم بنفس الدور الذى كانت تقوم به صحيفة المقطم فى مصر منذ قرن مضى إذ أصبح دورها ليس التغطية الإعلامية ولكن التغطية على حقائق العصر وخدمة السادة الجدد..

صوت الجامعة ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٢

obeikan.com

3 شهداء الإعلام في العدوان الأمريكي على العراق

إذا كان ضحايا المعارك العسكرية فى العدوان الأمريكى البريطانى على العراق قد بلغوا الآلاف من الشهداء العراقيين والمئات من القتلى الأمريكيين والبريطانيين فإن الضحايا من الإعلاميين والصحفيين لا يمكن أن يقاس فقط بعدد الأفراد الذين استشهدوا أثناء تأدية واجبهم المهنى فى ساحة القتال «١٣ شهيداً» وأولئك الذين طردوا وحرموا من أداء مهنتهم فضلاً عن الصحفيين الأمريكيين والبريطانيين الذين ألحقوا بالحملة العدوانية «٤٦٢ صحفياً» وزودوا بقائمة من التعليمات المشددة من البنتاجون ويضاف إلى ذلك القصف الأمريكى المتعمد لفندق فلسطين مقر المراسلين الأجانب وقصف مكاتب قناتى الجزيرة وأبو ظبى.. بل امتدت قائمة الضحايا من الصحفيين العرب والأجانب كى تشمل بعض نجوم الإعلام الغربى مثل بيتر أرنيت لذى يملك سجلاً مهنياً مبهراً منذ حرب فيتنام إلى حرب الخليج الثانية. إذ تقرر فصله من شبكة NBC بسبب فشل البنتاجون فى مراقبة الرسائل المتلفزة التى كان يرسلها أرنيت من بغداد ويشاهدها الرأى العام الأمريكى، ولأنه الصحفى الأمريكى الوحيد العامل داخل خط النار كما أن له مصادره الخاصة والقوية المنفصلة عن هيمنة البنتاجون على الصحفيين الأمريكيين العاملين فى بغداد وقد قامت NBC بطرد أرنيت وأصدرت بياناً أكدت فى أن الرجل لم يعد يعمل لحسابها نظراً لقيامه بالإدلاء بحديث للتليفزيون العراقى أعلن فيه أن خطة الحرب الأولى التى وضعها الجنرالات الأمريكيون قد فشلت فشلاً

ذريعاً نظرا للمقاومة العراقية الشديدة التى أساء هؤلاء تقديرها.. وعلى الرغم أن المحطة قد دافعت عن مراسلها المخضرم فى البداية إلا أنها عادت وأصدرت البيان المذكور والذى أخلت فيه سبيل أرنيت إلى الأبد.. ويعكس هذا القرار مدى الضغوط التى مورست على الـ NBC من جانب المتشددين المساهمين فى تمويل مؤسسة ناشيونال جرافيك والمالكة للمحطة بالإضافة إلى الضغوط المهنية التنافسية التى تعرضت لها المحطة من جانب محطات أخرى مثل شبكة فوكس نيوز التى يملكها اليمين الأمريكى المتطرف والمدعومة من صقور الإدارة الأمريكية والتى هاجمت أرنيت بشدة بعد إدلائه بالحديث المذكور إلى التليفزيون العراقى. كما تعرض مراسلو الجزيرة فى بغداد للقصف المكثف من جانب قوى الغزو خصوصاً بعد إذاعتها لصور الأسرى والقتلى الأمريكان. وقد قامت بورصة نيويورك بمنع مراسل الجزيرة عمر السكرى من تقديم فقرته الاقتصادية كما قام الهاكرز الأمريكان بمهاجمة مواقع الجزيرة على الإنترنت حيث فوجئ زوار الموقع بالعلم الأمريكى مرفوعاً على صفحته الأولى. وتعرض مراسل شبكة فوكس نيوز الأمريكية للترحيل فوراً من الساحة التى جاءها على ظهر دبابة أمريكية بحجة عدم التزامه بقائمة التعليمات التى زوده بها البنتاجون عندما طلب من المصور المصاحب له أن يركز عدسته على الأرض كى يرسم بأصبعه خارطة على الرمال توضح سير المعارك. وعلى الجانب الآخر تعرضت قناة العربية لسخط الكوايتة الذين اتهموها بالانحياز ضدهم وطردوا مراسلها من الأراضى الكويتية والأقسى من ذلك سحبت هيئة الاستثمار الكويتية العرض الذى كانت قدمته للإسهام فى تمويل هذه القناة. ولا شك أن الضحية الأولى للحرب ضد الإعلاميين والصحفيين هى الحقيقية التى أرادوا إسكات صوتها الأمر الذى يعد مخالفة فاضحة للمادة ٧٩ من البروتوكول الأول المضاف إلى اتفاقات جنيف والذى يعد تقنيناً لقاعدة قانونية دولية مستقرة

تتضمن توفير مركز دولى محمى حماية دولية خاصة للصحفيين والمراسلين والمصورين ومن يعاونهم فى مناطق النزاعات المسلحة وبالتالى فالاعتداء عليهم يعد جريمة حرب ويقع على عاتق الدول المعتدية مسئولية محاكمة من ارتكب الاعتداء على الصحفيين ويجب عليها تعويض الضحايا والجرحى وأسرهم وتختص المحكمة الجنائية الدولية بالفصل فى قضاياها وتحريك الدعوة من جانب الدول التى يتبعها الضحايا من خلال بلاغ أو شكوى يقدم إلى المدعى العام للمحكمة الجنائية للبدء فى إجراء التحقيق فى الوقائع.. ولا شك أن الفشل الإعلامى لقوات الغزو وضعهم فى مأزق إعلامى فاضح أمام الرأى العام العالمى فى مواجهة الصحفيين الشرفاء الذين حاولوا نشر حقيقة الجرائم التى ارتكبتها قوات الغزو بحق المدنيين العراقيين والتى شملت تدمير البنية الأساسية والمرافق والجسور والكبارى والمستشفيات والجامعات والمتاحف والأحياء السكنية والأسواق الشعبية والمؤسسات الصحفية والإعلامية مما أدى إلى سقوط عدد كبير من الضحايا تحية إكبار وإجلال لهؤلاء الشهداء من الصحفيين والإعلاميين الذين سطروا بدمائهم الذكية الحقيقة التى لن تغيب وهى أن مهنة الصحافة ليست مهنة البحث عن المتاعب ولكنها مهنة البحث عن الحقيقة حيثما وجدت فى ساحات القتال أو فى خفايا الحياة المدنية.

صوت الجامعة ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٣

4 فيروسات الفساد

نحن نعيش فى مجتمع يعانى من عدة أزمات اقتصادية وتشريعية فى ظل التحول إلى اقتصاد السوق منذ أوائل التسعينيات، وتتمثل أبرز هذه الأزمات فى زيادة حجم البطالة وتضخم القطاع الحكومى والتوسع فى تحديث البنية الأساسية على حساب المشروعات الخدمية فى الصحة والتعليم فضلاً عن زيادة الديون بالإضافة إلى الأزمة الدستورية التى تشير إلى ضرورة تعديل دستور ١٩٧١ الذى ينص على أن مصر دولة اشتراكية مما يتناقض مع اقتصاد السوق.

وفى ظل الأوضاع الحالية تحول المواطنون إلى كائنات تلهث وراء لقمة الخبز، إذ لم يعد لديهم الوقت أو الامكانيات المادية للقراءة أو المشاركة فى إدارة شئون المجتمع، لقد أصبح التحدى الذى يواجه المواطنين يتمثل فى مضاعفة قدراتهم المهنية للحصول على عمل إضافى أو الحصول على أجر أعلى وجاء ذلك على حساب الثقافة والتثقيف ومتابعة الموضوعات الجادة.

واستفادت وسائل الإعلام من الأزمة المجتمعية فركزت على ترويج الثقافة الاستهلاكية «الجريمة والرياضة والمنوعات والإعلانات والجنس» من خلال آليات أدت إلى سيادة أخلاقيات السوق على حساب الأخلاقيات المهنية ومنظومة القيم الاجتماعية وفى سياق ذلك تم تحويل جمهور القراء إلى مستهلكين وتحويل الصحيفة إلى سلعة، كما لعبت الشركات المتعددة الجنسية دوراً أساسياً فى نشر هذه الثقافة وتهميش الأدوار الاجتماعية والثقافية للصحافة.

لقد أدى هذا التحول فى وظائف الصحافة إلى هبوط مصداقيتها بعد أن تحولت الصحف إلى أدوات للتسلية والإلهاء وتحول الصحفيون إلى موظفين ومستثمرين من نوع جديد يتاجرون بالقيم المهنية ويتلاعبون بالمعرفة ويسخرونها لخدمة ذوى النفوذ الاقتصادى والسياسى، لقد تدهورت صورة الذات لدى الصحفيين كما تدهورت صورتهم لدى الرأى العام، وأدى تغلغل رجال الأعمال واختراق السلطة التنفيذية للصحافة المصرية إلى اختفاء الوظيفة الأساسية للصحافة وأعنى بها النقد والكشف عن الفساد وسوء الإدارة والظلم الاجتماعى، إذ تحولت المادة الصحفية إلى مادة إعلامية دعائية لمن يدفع وهذه هى فيروسات الفساد التى عصفت بجوهر المهنة. يضاف إلى ذلك اعتماد الصحفيين على المصادر الرسمية وتقارير العلاقات العامة فى تغطية الأنباء المحلية وعلى وكالات الأنباء فى تغطية الشئون الخارجية وقد أدى ذلك إلى اختفاء النقد الاستراتيجى وإن بقى النقد الأمبيريقى المبعثر فى جزيئات تتناول بعض الممارسات التنفيذية ولا تقترب من نقد السياسات العامة للدولة أو القيادات المركزية فى السلطة. ورغم أن الصحف الحزبية قد ساهمت فى خلق رؤية بديلة للقضايا لدى الرأى العام، إلا أن استمرار السلطة التنفيذية فى سياساتها الاقتصادية والثقافية التى أدت إلى المزيد من الإفقار ونشر ثقافة المهرجانات، كل ذلك أصاب الرأى العام بالإحباط بسبب تبنى السلطة لشعار يقول «دعهم يقولون ما يشاءون ونحن نفعل ما نريد»، والواقع أنه ليس مهما أن نستثمر مستحدثات التكنولوجيا فى تطوير أداء الصحافة وتبقى المضامين العامة والمصادر الرسمية والعلاقات المهنية أسيرة للمعلنين وللسلطة التنفيذية وتتحول مهنة الصحافة إلى وظيفة مهمتها التخديم على كل هؤلاء على حساب دورها الأساسى فى توعية الجمهور وتثقيفه والدفاع عن حقوق المستضعفين والهوية الوطنية والأمن القومى المصرى والعربى.

صوت الجامعة – أول مارس ٢٠٠٤

5 الإعلام الأمريكي وقناة الحرة

لقد كان الإعلام وسيظل لسان حال يعبر عن فكر ومصالح مالكيه من الأفراد والجماعات والدول والمؤسسة الأمريكية المالكة للفضائية الجديدة المسماة بالحرة خصصت لها ما بين ٤٥ إلى ٦٢ مليون دولار طبقاً للتقارير الصحفية المنشورة. وتهدف هذه الفضائية إلى تحسين صورة أمريكا عربياً، أى أنها ستعبر عن مصالح الجهة التى تمولها. ولقد كشفت «الحرة» عن توجهها الأمريكى منذ اللحظة الأولى والذى تجسد فى اللقاء الحصرى الذى أجرته مع بوش الذى كرر الخطاب التقليدى عن الديمقراطية ولابد من التعرض لتقييم هذه الفضائية من خلال معيارين أولهما الهدف وثانيهما: الجمهور المستهدف.

عن هدف الفضائية الحرة يقول العاملون بها: إن هدفها هو تحقيق الديمقراطية والحريات العامة فى العالم العربى، أى حرية الصحافة وحرية الانتخابات وحرية المجتمع ككل وهى ذات العبارات التى يستخدمها بوش فى حواراته المختلفة. ولا شك أن الديمقراطية مسعى لكل إنسان عربياً كان أو غير عربى وهى مبدأ أصيل لا يمكن الاختلاف على أهميته. ولكن هناك اختلافاً حول مضمون الديمقراطية فهو عبارة مطاطة فضفاضة وقد استغلها الكثيرون لتحقيق مصالحهم الشخصية والفئوية والطبقية التى يمثلونها حتى أنها أفرغت من مضمونها الحقيقى وابتذل معناها. واكتفاء الفضائية الحرة والعاملين بها برفع شعار الديمقراطية والحرية فقط يعنى أن تستمتع بها الشرائح الاجتماعية القادرة اقتصادياً وأن يتم استبعاد تلك الشرائح الاجتماعية الفقيرة والمهمشة بحكم عدم قدرتها على المشاركة العامة.

إن الاقتصار على الاستمتاع بالحقوق السياسية وإسقاط وتهميش الحقوق الاجتماعية هو الفارق بين مفهومنا للديموقراطية ومفهوم الفضائية الأمريكية الناطقة بالعربية فارتباط الحقوق السياسية بالحقوق الاجتماعية يعنى ارتباط الديمقراطية بالعدل الاجتماعى.

أما المعيار الثانى الخاص بالجمهور المستهدف: فالفضائية «الحرة» تستهدف أساساً العقل الجمعى العربى انطلاقاً من اعتقاد المسئولين عنها أن جمهورهم من المشاهدين العرب يفتقرون إلى الحد الأدنى من الإدراك والوعى والذكاء أسوة بالأمريكيين الذين شهد العالم بفداحة جهلهم وانسياقهم خلف قيادتهم السياسية مثل القطعان التائهة والسؤال المطروح هو هل يمكن أن تنجح هذه الفضائية فى تجميل وجه السياسة الأمريكية القبيح الذى تؤكده كل يوم ممارسات الهيمنة والغطرسة الأمريكية والكيل بمكيالين؟ وهل يمكن أن تخلق هذه الفضائية مصداقية لدى الرأى العام العربى رغم الممارسات الأمريكية المساندة للجرائم الإسرائيلية فى فلسطين علاوة على جرائم أمريكا ذاتها فى أفغانستان والعراق؟.

إن هناك خيارات إعلامية كثيرة أمام المشاهدين العرب أكثر توازناً ومصداقية. ولا شك أن متابعة يوم واحد من البث الفضائى لهذه الحرة يؤكد أنها حلقة فى سلسلة متكاملة من الآليات الإعلامية الأمريكية.. إذاعة سوا ومجلة هاى تكشفان عما تخطط له أمريكا لإعادة تشكيل الرأى العام العربى واستقطاب العملاء والبلهاء والمخدوعين والمغرضين أما الأسوياء الأذكياء المنتمون لأوطانهم فسوف يقاطعونها أو على أحسن تقدير يتابعون من خلالها الخطط الأمريكية تجاه العالم العربى.

إننا لا نرفض الفضائية الجديدة مع البقاء فى مواقعنا الجامدة العاجزة بل لابد من تحديد أجندتنا الوطنية والسعى لتفعيلها سياسياً واجتماعياً لمواجهة الأجندة الأجنبية والأمريكية بالتحديد التى يحاولون فرضها علينا.

صوت الجامعة – ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤

6 لا عزاء للصحفيين

تأملت ما حدث فى المؤتمر الأخير للصحفيين العرب أنماط متنوعة من الصحفيين العرب التقوا على مائدة مؤتمرهم الذى عقد فى القاهرة التى لا تزال تحمل بعض ملامح اللقب القديم «عاصمة العروبة» فالعرب كانوا يأتون إليها منذ زمن بعيد كى ينهلوا من علم وثقافة وفن روادها فى مختلف فروع الحياة وكى يقتبسوا من شيوخها الحكمة ومن نسائها فنون إدارة البيوت وتربية الأبناء ومعاملة الأزواج ومن أثريائها أساليب الاستمتاع الحضارى بأجمل ما أنتجته حضارتهم وحضارات الآخرين ومن فقرائها الصمود فى مواجهة الفناء والاستعاضة بالحب والتضامن عن المظاهر المادية الصاخبة، فقد كانوا ينتظرون فى بلادهم مجيء السفن القادمة من مصر تحمل الصحف المصرية وأخبار الساسة والحكام والعلماء والفنانين وأبطال الرياضة فيتحيزون إلى الوفد فى مواجهة الآخرين الذين يؤيدون الأحرار الدستوريين ويتعصبون لفريق الأهلى لكرة القدم مقابل أنصار الزمالك، ويتابعون معارك العقاد وطه حسين ومساجلات المازنى وسلامة موسى وتوفيق دياب ومحمد مندور ويحفظون عن ظهر قلب نوادر كامل الشناوى وعبد الرحمن الخميسى ويرددون أشعار بيرم التونسى وحافظ وشوقى وصلاح عبد الصبور وعبد المعطى حجازى ويلتفون فى الخميس الأول من كل شهر حول أجهزة الراديو يستمتعون بالطرب الأصيل من سيدة الغناء العربى أم كلثوم، جاءوا الآن يمثلون أجيالاً مختلفة شهد بعضهم جزءاً من الزمن العربى الجميل وتوقف الآخرون عند أسوأ ما

أنتجته فترة الانحسار والتراجع العربى فى ظل الحقبة النفطية: التمزق والتآمر والروح القطرية والانتهازية والتبعية ولكل ما يأتى من الغرب والانتماء للذات الأمارة بالسوء أكثر من الانتماء للأوطان وتراثها المضيء ولقد جاءوا الآن يحملون قيم عصرهم النفعية والأنانية وشراء النفوس الضعيفة وقد تحالف هؤلاء مع أشباههم من الصحفيين المصريين، وتأمر الجميع علىّ بأنانيتهم وضحالتهم وتكالبهم على المناصب الرخيصة والتى تتيح لهم الجلوس طوال العمر تحت أقدام الحكام وسادة السوق. رأيت صغارهم يهرولون من أجل مزيد من الفتات المتساقط من موائد كبار الانتهازيين الذين تربعوا على قمة الاتحاد ما يزيد على ثلاثين عاماً وحجبوا عن الأجيال الجديدة من الصحفيين فرص التقدم والمشاركة فى حمل المسئولية واكتساب الخبرة ممن سبقوهم ومحاولة إصلاح ما أفسده هؤلاء القراصنة.. ولم ينتبهوا إلى الحقيقة المرة العالقة بذاكراتنا جميعاً والتى تشير إلى دورهم البغيض فى إصابة الصحافة العربية بالعقم والخضوع المطلق للحكومات ودوائر السوق والسماسرة من المعلنين وتجار النخاسة، أدهشنى مدى الخواء النفسى والعقلى والوجدانى الذى تنطوى عليه هذه القيادات التى أثرت وتضخمت من المناصب الرئاسية وضجيج الأبهة الزائف والثروات المسروقة من عرق الصحفيين الشبان أدهشنى إصرارهم على اقتناص المواقع القيادية والاحتفاظ بها مدى الحياة وشراستهم فى استبعاد وتشويه العناصر الواعدة من الأجيال الجديدة.

والسؤال هو: هل فشلت المغانم التى اقتنصوها والفرص التى حرموا منها من أحق بها فى تحقيق رضائهم عن أنفسهم؟ وهل لا يزالوا يشعرون بالحرمان الذى صاحبهم منذ بداياتهم المتواضعة مهنياً واجتماعياً؟ وما هى المغانم الجديدة التى يتطلعون إليها؟ مزيد من الثروات، مزيد من السلطة البراقة؟ من المؤكد أنهم لا

يتطلعون إلى تحقيق مزيد من الكرامة للمهنة المستضعفة أو الأمان المادى والأدبى للصحفيين الحيارى التائهين. وإذا كانت الصحافة العربية وحريتها وحقوق أبنائها قد انتهكت على أيدى الحكومات وسماسرة السوق فإن ما حدث من شروخ وانتهاكات للمهنة وأبنائها على أيدى هؤلاء السادة «الذين انتهى عمرهم الافتراضى» يدير الرؤوس ويدمى النفوس ولا عزاء للصحفيين العرب.

العربى الناصرى – ١٩/ ١٢/ ٢٠٠٤

obeikan.com

7 حقوق الصحفيين وحرية التعبير

تواجه حرية التعبير والرأى هجمة شرسة من جانب الحكومات العربية رغم ما تزخر به الدساتير العربية من نصوص تؤكد على حقوق الأفراد والجماعات فى تلقى المعلومات وتداولها ونشرها بجميع الوسائل المتاحة ورغم أننا نعيش مرحلة تاريخية تعرف بالسماوات المفتوحة وحرية الإبحار فى شبكات المعلومات الدولية وأبرزها الإنترنت.

تلقيت دعوة من منظمة العفو الدولية فرع تونس لإلقاء محاضرة عن حرية الصحافة وحقوق الصحفيين والإعلاميين العرب بمناسبة اليوم العالمى لحرية الصحفى وسافرت على الطائرة المصرية يوم ٣ مايو. وفى اليوم التالى قمت بإلقاء المحاضرة فى مقر المنظمة بتونس، حيث احتشد عدد كبير من الصحفيين والإعلاميين والسفراء وأيضاً حقوق الإنسان. وهالنى قلة عدد النساء الحاضرات فلما استفسرت عن ذلك أخبرونى بأن الاتحاد الديمقراطى للمرأة التونسية كان يعقد ندوة عن حقوق المرأة فى نفس الوقت.

تحدثت عن الإطار التاريخى والقانونى لحرية التعبير وأوضحت العلاقة العضوية بين حرية الصحافة والحريات العامة، وأنها ليست امتيازاً للصحفيين فقط، بل ترتبط بصورة جدلية بالواقع المجتمعى الشامل، ثم أشرت بالتفصيل إلى الواقع الراهن للصحافة العربية وسقوطها بين فكى الحكومات العربية من ناحية وسطوة المعلنين وثقافة السوق من ناحية أخرى. وأشرت إلى القيود التشريعية العديدة التى

تكبل مهنة الصحافة وتهدر حقوق الصحفيين فى الوصول إلى مصادر المعلومات وتميل إلى تغليظ العقوبات التى تصل إلى حد الحبس والتشريد والمطاردة. بل والاعتقال والاغتيال. وضربت عشرات الأمثلة الحية التى تمتد على مساحة الوطن العربى من الجزائر إلى تونس والعراق ومصر والسودان وليبيا ولبنان والكويت والسعودية والأردن واليمن وفلسطين. وتعرضت للنضال التاريخى الطويل للصحفيين فى مواجهة الحكومات العربية منذ نشأة الصحافة العربية مصحوبة بصدور أول تشريع قانونى عام ١٨٥٧ فى ظل السلطان العثمانى عبد العزيز، واستمرار هذا النضال طوال فترة السيطرة الأوربية على العالم العربى وصولاً إلى مرحلة الاستقلال الممتدة حتى اليوم، حيث تراكمت القيود التشريعية ولم ينج منها أى تشريع بل تكاثرت وأصبحت غابة شائكة من القوانين والإجراءات غير القانونية التى تحاصر حرية التعبير وتسعى بدأب وخبث من أجل تكميم الأفواه. وكان لابد أن أختم محاضرتى بالسؤال التقليدى: ما العمل؟ وقد تركت الإجابة للحاضرين واكتفيت بإبراز الأسباب التى تحول دون تطبيق ديمقراطية الاتصال فى الوطن العربى. والتى تتلخص فى الهوة الطبقية والاجتماعية داخل المجتمعات العربية وبينها وبين بعضها وأزمة المثقفين العرب الذين يتأرجحون بين ضغوط السلطة وإغراءاتها علاوة على غياب التراث الديمقراطى فى جميع الأبنية الاجتماعية والسياسية والثقافية بدءاً بالأسرة والقبيلة ومؤسسات التعليم الذى يقوم على التلقين والأحزاب السياسية وتجمعات المثقفين، فلماذا يشذ المجال الإعلامى والصحافة العربية عن هذا المناخ العام الذى ترسخ عبر السنين محكوماً بسلطة الموروثات الثقافية والاجتماعية من ناحية ومدعوماً بممارسات السلطة بجميع أشكالها من ناحية أخرى.

وبدأ النقاش وانهالت الاستفسارات والتعليقات والمداخلات واستمر ما يقرب من الثلاث ساعات ارتفعت خلالها نبرة الاحتجاج على الظلم الواقع على حرية التعبير سواء للصحفيين أو لغيرهم.

أدهشنى وأثار إعجابى تلك الرغبة الصادقة التى تموج بها الصدور.. الرغبة فى المشاركة الحقيقية فى إدارة شئون الأوطان وحدودها الدنيا حرية التعبير إيماناً منهم بأن عصر السلاطين والملوك قد ولى، وأن النفوذ الأجنبى قد انحسر على الأقل من الناحية الشكلية.

التف حولى مجموعة من الشباب يريدون مواصلة الحوار وامتدت أياديهم تزودنى بلفائف من الأوراق كان أبرزها تقرير لجنة الحريات الذى أصدرته جمعية الصحفيين التونسيين بمناسبة عيد حرية الصحفى فى ٣ مايو حول واقع الحريات الصحفية فى تونس وقد شارك فى إعداده فريق من شباب الإعلاميين والصحفيين التونسيين، وقد أشار بالتفصيل وبصورة متوازنة وموضوعية إلى الإنجازات التى تحققت وإلى القيود الكثيرة التى لا تزال تحاصر حرية الإعلام فى تونس. وقد لفت انتباهى أن هذا التقرير لم يقتصر على تناول أوضاع الصحافة والصحفيين بل شمل جميع وسائل الإعلام، وركز على احتكار الدولة التام للإعلام المرئى والمسموع، وأشار إلى المحاولات العديدة التى قام بها بعض المواطنين التوانسة لإنشاء إذاعات حرة غير أنها رفضت جميعها رغم لجوء أصحابها إلى القضاء الذى رفض دعاويهم من ناحية الشكل.

وتحدث زياد الهانى الشاب التونسى أبرز نشطاء حقوق الإنسان وقد تلقى تعليمه فى بغداد فى الكيمياء النووية، ولكنه تفرغ حالياً لرفع الدعاوى أمام القضاء احتجاجاً على التغطية المختصرة والمحدودة لجنازة الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة

مؤسس تونس الحديثة، واحتجاجاً على حرمانه من حقه فى إنشاء إذاعات حرة بقرطاج هدفها نشر ثقافة وقيم التسامح والسلام وحقوق الإنسان وترسيخ الهوية الوطنية، وقد وصل به الأمر إلى مخاطبة رئيس الجمهورية إعمالاً لحقه كمواطن فى الاحتجاج على رفض دعاويه أمام القضاء مستنداً إلى القانون رقم ٤٩ الصادر عام ١٩٩٠ الذى يلغى احتكار الدولة الكامل للإعلام المرئى والمسموع والذى يستند إلى الأمر الصادر فى إبريل عام ١٩٩٧ والمطالبة بمساواته بالترخيص الممنوح لشركة سيدات ببث القناة التليفزيونية الخاصة (فتاة أفق) والصادر فى ٤/ ٩/ ١٩٩١.

هذا الزخم والإصرار الذى شهدته من جانب الشباب التونسى ذكرنى بثورة الغضب التى عكستها مظاهرات الشباب المصرى والمغربى و لأردنى والجزائرى واليمنى والليبى والسعودى احتجاجاً على حرب الإبادة الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى واحتجاجاً على عجز وتقاعس الحكومات العربية، ذلك الغضب النبيل الذى يتحسس طريقه نحو منهج عمل سوف يحمل التغيير القادم لا محالة.

ودروس التاريخ القريب والبعيد تؤكد لنا ذلك كل لحظة. ولكن للحكومات منطقها، ويبقى للشعوب مواصلة النضال حتى تشرق شمس الحرية التى طال انتظارهم لها. ولعل الحكم الصادر بحبس المناضلة البرلمانية الأردنية توجان الفيصل لأنها مارست حقها الشرعى فى حرية التعبير لن يكون آخر الصفحات فى ملحمة النضال العربى من أجل حق المواطن العربى فى ممارسة التعبير والمشاركة.

جريدة الأهالى – ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٢

8 متى تصبح الصحافة صوتاً للفقراء ؟

هناك مقولة مغلوطة تشير إلى أن الكمبيوتر قد أدى إلى ظهور عصر المعلومات، والواقع أن الصحافة المطبوعة هى التى بدأت هذا العصر، ولكن عصر المعلومات بكل المستحدثات التكنولوجية من كمبيوتر وأقمار صناعية (شبكات معلومات وفضائيات) أصبح مسخراً لخدمة السوق العولمية والمتحكمين فى حركة رؤوس الأموال والسلع والأفكار والمعلومات وصارت المجتمعات الغربية تعتمد على نموذج التركيز على المعلومات الذى يقوم على تقديم كم كبير من المعلومات، وعبر وسائل الاتصال، وساهمت الإنترنت فى زيادة المعلومات، ولكن هل هذه المعلومات تشكل معرفة؟ إن نوع المعلومات التى تحملها الإنترنت لا تؤدى إلى خلق معرفة شاملة، بل هى تقتصر على المعلومات الخاصة بزيادة المهارات المهنية أو البحث عن وظيفة أو الحصول على مزيد من الأرباح أو تمضية الوقت فى المتع الرخيصة أو كم كبير من المعلومات المبعثرة عن موضوعات معينة فاقدة للترابط والاتساق. كما أن الدراسات تشير إلى أن الإسراف فى استخدام الإنترنت، قد أدى إلى انكماش الفرد داخل اختصاصه واحتياجاته الشخصية وزيادة فرديته وغياب إحساسه بالمجتمع وتضاؤل إدراكه ووعيه بالقضايا العامة. والسؤال الذى طرحته وقائع المؤتمر الرابع للصحفيين المصريين ما الذى جعل الصحافة المصرية فى عصر المعلومات أقل تأثيراً فى مجريات الأحداث فى المجتمع، خلافاً لما يؤكده تاريخها وأدوارها التنويرية والوطنية فى المراحل السابقة رغم ما نحظى به الآن من امتلاك

للمستحدثات التكنولوجية والتأهيل الأكاديمى والمهنى للصحفيين واتساع مساحة نشاطهم ووجود نقابة للصحفيين تدافع عن حقوقهم المهنية والاجتماعية .

والإجابة هى أن عصر المعلومات ومستحدثاته التكنولوجية فى المعلومات والاتصال لا توفر إطاراً حقيقاً للمعرفة ولا تحمل إجابات على أسئلتنا. إنهم يقولون إننا سنجعل التعليم أفضل باستخدام الكمبيوتر وسنجعل ممارسة الدين أفضل وسنجعل عقولنا تفكر بشكل أعمق ولكن ثبت أن كل ذلك غير صحيح، لأن الكمبيوتر أداة لتصنيع المعلومات والتلاعب بها وقد تم توظيفه لخدمة المتحكمين فى السوق وله أجندة ورسالة تتناقض تماماً مع أجندة وهموم وحقوق الغالبية العظمى من أهالينا فى مصر المحروسة خصوصاً الكادحين والبسطاء والفقراء. فمستحدثات الثورة الاتصالية والمعلوماتية لا تزال وستظل من نصيب الفئات والنخب المتعلمة والقادرة اقتصادياً والمرتبطة مصالحها بالسوق وفى ضوء ذلك ستظل الصحافة هى وسيلة اتصال الفقراء من المتعلمين الساعين للحصول على المعرفة الحقيقية التى تقوم على التغطية الشاملة للأحداث وتكشف عن مكامن الفساد والظلم الاجتماعى وسوء الإدارة وهذا هو جوهر مهنة الصحافة التى يرتبط مستقبلها بمدى قدرتها على توعية الجمهور بحقوقه ومسئولياته واحترام احتياجاته ومخاطبته كجمهور من المواطنين وليس من المستهلكين. لقد أدى طغيان الاعتبارات التسويقية على الصحافة المصرية خلال العقدين الأخيرين إلى توارى القيم المهنية والرسالة المجتمعية للصحافة، الأمر الذى أدى إلى الأزمة الراهنة التى يعانى منها الصحفيون ومهنتهم. ولكى تزدهر الصحافة المصرية لابد أن تضع وظائفها المجتمعية فى صدر اهتماماتها وأن يدرك القائمون عليها أنها ليست مشروعاً تجارياً هدفه الربح عن طريقه زيادة التوزيع والإعلانات. ولا شك أن الالتزام بالدور

المجتمعى للصحافة سوف يسهم فى حل العديد من المشكلات المهنية مثل عدم رضا الصحفيين عن مهنتهم واستعادة الصحافة لمصداقيتها لدى الجمهور. ولكى تعود الصحافة المصرية إلى جمهورها لابد من نموذج جديد للمعرفة يركز على المعلومات الشاملة المستمدة من المصادر المتنوعة الرسمية والأهلية والخبراء والمتخصصين كما يحتاج هذا النموذج إلى صحفيين ينتمون إلى المهنة وقضاياها ويستوعبون تاريخها ويلتزمون بأخلاقياتها ويسعون بجرأة وشجاعة للكشف عن مكان القصور والفساد فى المجتمع المصرى ويواصلون أداء رسالتهم النبيلة بقدر كبير من الوعى والجسارة والالتزام دفاعاً عن سيادة الوطن وحقوق الفقراء والمستضعفين.

صوت الجامعة ٨ مارس ٢٠٠٤